

تفسير البحر المحيط

@ 327 @ تحصيل التقوى ولما كان ما حلَّ بقوم نوح من أمر الطوفان واقعة لم يظهر في العالم مثلها قال { إِنْ نَزَىٰ أَخَافُ عَلَايِدِكُمْ ۖ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } وواقعة هود كانت مسبوقه بواقعة نوح وعهد الناس قريب بها اكتفى هود بقوله { أَفَلَا تَتَذَقُونَ } والمعنى تعرفون أن قوم نوح لما لم يتقوا □ وعبدوا غيره حلَّ بهم ذلك العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا فقوله { أَفَلَا تَتَذَقُونَ } إشارة إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة . .

{ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِيَّانَا لِنَذِرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } أتى بوصف { الْمَلَأَ } بالذين كفروا ولم يأت بهذا الوصف في قوم نوح لأن قوم هود كان في أشرفهم من آمن به منهم مرثد بن سعد بن عفير ولم يكن في أشرف قوم نوح مؤمن ألا ترى إلى قولهم { وَمَا نَزَرَاكَ إِتِّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لِنَا } وقولهم { أَنْزُومِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ } ويحتمل أن يكون وصفاً جاء للذم لم يقصد به الفرق ولنراك يحتمل أن يكون من رؤية العين ومن رؤية القلب كما تقدم القول في قصة نوح و { فِي سَفَاهَةٍ } أي في خفة حلم وسخافة عقل حيث تترك دين قومك إلى دين غيره وفي سفاهة يقتضي أنه فيها قد احتوت عليه كالطرف المحتوي على الشيء ولما كان كلام نوح لقومه أشد من كلام هود تقوية لقوله { إِنْ نَزَىٰ أَخَافُ عَلَايِدِكُمْ ۖ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } كان جوابهم أغلظ وهو { إِنْ نَزَا لِنَذِرَاكَ فِي ضَلَالٍ مَّبِينٍ } وكان كلام هود ألطف لقوله { أَفَلَا تَتَذَقُونَ } فكان جوابهم له ألطف من جواب قوم نوح لنوح بقولهم { إِنْ نَزَا لِنَذِرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ } ثم أتبعوا ذلك بقولهم { وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } فدل ذلك على أنه أخبرهم بما يحل بهم من العذاب إن لم يتقوا □ أو علاقوا الظن بقوله { مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ } أي إن لنا آلهة فحصرها في واحد كذب . وقيل : الظن هنا بمعنى اليقين أو بمعنى ترجيح أحد الجائزين قولان للمفسرين والثاني للحسن والزرّاج ، وقال الكرمانى : خوِّف نوح الكفار بالطوفان العام واشتغل بعمل السفينة فقالوا { إِنْ نَزَا لِنَذِرَاكَ فِي ضَلَالٍ مَّبِينٍ } حيث تتعب نفسك في إصلاح سفينة كبيرة في مفازة ليس فيها ماء ولم يظهر ما يدل على ذلك وهو رديف عبادة الأوثان ونسب قومه في السفاهة فقابلوه بمثله . .

{ قَالَ يَا آدَمُ * قَوْمُ * لَيْسَ بِرِي سَفَاهَةٌ ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُولَٰئِكَ كُفِرُوا لَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفِي سَفَاهَةٍ }

